

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة الإمام علي (ع) في غديريات شعراء أصفهان (دراسة وصفية تحليلية)

سمية حسنعليان^١

الملخص:

اهتمام الأدباء الإيرانيين . الشعراء منهم والكتاب . بصفتهم مسلمين بالموضوعات الإسلامية أمر لا يغمض عنه ومما سلك مسلكه إلى الأدب الفارسي هو الغدير وما يتصل بهذا اليوم الميمون المبارك . ومن هذا المنطلق ظهرت قصائد شهيرة قيمة بعنوان غديريات في الأدب الفارسي .

انسياقا من هذا يستهدف البحث إلى دراسة صورة الإمام علي (ع) في غديريات شعراء أصفهان مستخدما المنهج التوصيفي . التحليلي .

ظهر من خلال البحث أن الشعراء الأصفهانيين عرضوا مناقب الإمام علي (ع) وفضائله في غديرياتهم كالعدالة والشجاعة والعلم وأشاروا إلى أفضلية الإمام على غيره، مقتبسين الآيات القرآنية الكريمة، مضمنين الأحاديث النبوية الشريفة وكان هذه الآيات والأحاديث أغنت أشعارهم ودعمت الصورة المعروضة للإمام علي (ع) .

الكلمات الأساسية: الإمام علي (ع)، الغديريات، الشعراء، أصفهان، فضائل الإمام (ع)

١ . أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان .

١. المقدمة:

بعد أن دخل الإيرانيون في الإسلام واعتنقوه رغبة وطوعا اهتموا باللغة العربية بصفتها لغة القرآن الكريم فضلا عن اهتمامهم بحوادث ووقائع إسلامية تاريخية. من هذه الوقائع الهامة في الإسلام هي قضية الولاية المتحققة في يوم الغدير المبارك.

إضافة عن القصائد العربية الكثيرة في الأدب الفارسي هناك قصائد بليغة بلغة فارسية حول هذا الموضوع الجليل. من هذا المنطلق يستهدف هذا البحث إلى دراسة صورة الإمام علي (ع) في الغديريات الفارسية ولكن نظرا إلى كثرتها وتنوعها في العصور المختلفة فقصده البحث دراسة غديريات لشعراء منطقة واحدة ألا وهي أصفهان وذلك لأن الباحثة هي أصفهانية والبحث عما يتعلق بمدينتها أولى.

مجتمع الدراسة يشمل الغديريات التي وردت في كتاب فارسي بعنوان «غديريه‌های شعر فارسي از قرن چهارم تا چهاردهم» [غديريات فارسية من القرن الرابع إلى القرن الرابع عشر] وتتضمن قصائد لشعراء هم:

بابا أفضل الدين كاشاني (القرن السابع)، مولانا كاشي، محمد حسن أفضل المتكلمين (القرن الثامن)، سائل كاشاني (القرن العاشر)، حكيم شفائي أصفهاني، شرف الدين حسن (القرن الحادي عشر)، ميرسند كاشاني (القرن الحادي عشر)، نجيب كاشاني، نور الدين محمد (القرن الحادي عشر)، طيب أصفهاني، ميرزا عبد الباقي (القرن الثاني عشر)، عاشق أصفهاني، محمد (القرن الثاني عشر)، الماسي أصفهاني، ميرزا محمد تقي شمس آبادي (القرن الثاني عشر)، هاتف أصفهاني، سيد احمد (القرن الثاني عشر)، رشحه أصفهاني، محمدباقر (القرن الثالث عشر)، سروش أصفهاني، شمس الشعراء ميرزا محمد علي (القرن الثالث عشر)، شكيب أصفهاني، محمدرضا (القرن الثالث عشر)، شمس الأدباء، ميرزا سيد محمد أصفهاني (القرن الثالث عشر)، روشن اردستاني، ميرزا صادق (القرن الثالث عشر)، عنقاي أصفهاني، محمد حسين (القرن الثالث عشر)، صباي كاشاني، محمود خان ملك الشعراء (القرن الثالث عشر)، ميرزا حبيب أصفهاني (القرن الثالث عشر)، صفي عليشاه، ميرزا حسن أصفهاني (القرن الثالث عشر)، صبوري كاشاني، محمد كاظم (القرن الرابع عشر)، فروغي أصفهاني، ميرزا محمد حسين ذكاء الملك (القرن الرابع عشر)، طرب أصفهاني، ابوالقاسم محمد نصير (القرن الرابع عشر)، غمگين أصفهاني، محمد كاظم (القرن الرابع عشر)، يحيى مدرس أصفهاني (القرن الرابع عشر)، غروي أصفهاني، محمد حسين كمپاني (القرن الرابع عشر)، صغير أصفهاني، محمد حسين (القرن الرابع عشر)، گلزار أصفهاني (القرن المعاصر)، منشي كاشاني حسين علي (القرن

المعاصر)، جلال الدين هماني (القرن المعاصر)، مكرم أصفهاني، محمدعلي حبيب آبادي (القرن المعاصر)، نواي أصفهاني، جعفر نواجش (القرن المعاصر)، مشفق كاشاني، عباس كي منش (القرن المعاصر)، اشترى أصفهاني، مرتضى (القرن المعاصر).

كثرة هؤلاء الشعراء لو دل على شيء ليدل على اهتمام الأصفهانيين طوال التاريخ بموضوع الغدير وولائهم وحبهم للإمام علي (ع).

المنهج الذي توخاه البحث لدراسة صورة الإمام علي (ع) في الغديريات هو التوصيفي . التحليلي . بالنسبة إلى الدراسات السابقة فلا بد أن نذكر أن هناك دراسات بحثت عن صورة الإمام (ع) في أشعار بعض الشعراء ولا تخلو الإشارة إلى بعضها من جدوى وإن لا تسع هذه المقالة كلها وهذه على سبيل المثال لا الحصر: . مقالة «سيمای امام علي (ع) در اشعار سيد حميري» [صوره الإمام علي (ع) في شعر السيد الحميري]. لعباس عرب وشيرين سالم. مجلة لسان مبین. السنة ۳. الرقم ۸. ۱۳۹۱. ص ۱۹۸-۲۲۳. . مقالة «صورة الإمام علي (ع) في القصائد العلويات السبع لابن أبي الحديد المعتزلي». لحسين عبد العال اللهيبي. جامعة الكوفة. مهرجان الغدير العالمي الأول.

ولكننا لم نحصل على دراسة وافية حق الموضوع في الغديريات الأصفهانية. ويجدر بنا أن نعرف بعض مصطلحات البحث التي تحتاج إلى بعض التوضيحات: الإمام علي (ع): لا تسع هذه السطور القليلة التعريف بشخصية كبيرة كعلي بن أبي طالب (ع) الذي شغل العالم بصفاته المتميزة وبكلامه الزاهر. هو علي بن أبي طالب (ع) كُنيتُه: أبو الحسن، أبو الحسين، أبو تراب .وألقابه: أمير المؤمنين، المرتضى، الوصي، حيدر، يعسوب المؤمنين، يعسوب الدين. ولد سنة ۳۰ بعد عام الفيل في اليوم الثالث عشر من رجب في يوم الجمعة في بيت الله الحرام. وعاش بمكة ۱۰ عشرة سنوات، مع النبي، قبل بعثته مترعراً في كنفه. وأقام بمكة مع النبي ۱۳ ثلاث عشرة سنة بعد البعثة المباركة. ثمَّ هاجر إلى المدينة فأقام بها مع النبي ۱۰ عشر سنين وأقام بعد أن مضى رسول الله ۳۰ ثلاثين سنة.

أصفهان: مدينة جميلة تقع في مركز إيران وتعتبر مدينة العجائب وفيها معالم أثرية جميلة وهناك مثل شهير في الفارسية يقال: أصفهان نصف العام (الدنيا) كأن من زار أصفهان زار نصف العالم. وهذه المدينة كانت مركزاً هاماً للأدب العربي إذ كانت حاضرة من حواضر العلم والثقافة وعلمائها كانوا يهتمون به قديماً وحديثاً. من أشهر علمائها

المهتمين بالأدب العربي هم: رُسْتَه بن أبي الأبيض الاصبهاني، أحمد بن عَلْوِيَة الكاتب الاصبهاني، الصاحب إسماعيل بن عبّاد، الطغرابي، عماد الدين الكاتب الأصفهاني و غيرهم من الأدباء والشعراء.

٢. صورة الإمام علي (ع) في الغديريات الأصفهانية:

بعد القراءة المتأملة للغديريات الأصفهانية حصلنا على الصورة التي رسمها هؤلاء الشعراء في غديرياتهم وتمتاز هذه الصورة بعدة معالم. أهم هذه المعالم تتجلى في مناقب الإمام وفضائله وهي:

٢.١. علي (ع) عادل:

أشار الشعراء إلى عدالة الإمام (ع) إليك بعض نماذجه:

قال الشاعر غمگين أصفهاني أن الظلم يفر لعدل الإمام (ع) وستنتظم أمور العالم إذا إجريت عدالته على الأرض:

ز فر و دادش خواهد گریخت ظلم و ستم جهان ز عدلش خواهد گرفت نظم و نسق
وقال شاعر آخر:

خسرو عادل عدیل ختم رسولان آن که نگین داد در رکوع به سائل (٤١٣)

٢.٢. علي (ع) شجاع:

لا يخامرنا شك في شجاعة الإمام علي (ع) هو الذي اشترك في كل الغزوات والحروب إلا غزوة تبوك وذاك بأمر الرسول (ص) (البلاذري، ١٩٧٤م، ٢: ٩٢) وأبلى بلاءاً حسناً في كل تلك الحروب وما جرى هو المذكور في الكتب التاريخية كقصة غزوة خيبر الشهيرة. صور الشعراء الإمام (ع) بصورة أسد يهجم على العدو والكفار ويهزمهم:

چنان کز صولت شیر خدا کفار در میدان چنان کز حمله ضرغام دین ابطال در پیدا
وقال شاعر آخر مشيراً إلى أن لعلي (ع) حلماً وهبه الله إياه ولو لا ذلك الحلم لقتل كثير من برق سيفه حتى لم يبق على الأرض أحد:

عیان در آتش رمح تو ثعبانهای برق افشان نهان از آب شمشیر تو دریاهای طوفانزا
اگر حلم خداوندي نیاویزد به بازویت چو یازي دست تیغ و تازي بر صف اعدا
ز برق ذو الفقارت خرمن هستي چنان سوزد که جانداري نگردد تا قیامت در جهان پیدا
في البيت الأول من هذه الأبيات إشارة إلى معجزة النبي موسى (ع) كما أن موسى كان يستخدم عصي وتتحول العصا إلى ثعبان كبير يلتهم الكفار فسيف علي (ع) كثعبان لا يُبقي أحداً من الكفار أمامه في الحروب.

أنشد سروش أصفهاني مشيرا إلى حروب الإمام (ع) وشهرته في شجاعته بين أهل السماء فضلا عن أهل الأرض:

مرد أحد مبارز صفين امير بدر شهره در آسمانها صيت شجاعتش (٢١٧)

٢.٣. علي (ع) شفيع يوم الحساب:

بلون أي شك الشفاعة ثابتة للنبي (ص) وآله الأطهار (ع) وذكر الشعراء الأصفهانيون هذا الموضوع في غديرياتهم راجين هذه الشفاعة يوم الحشر:

تو و اولاد انجاد كرام تست هاتف را امام و پيشوا و مقتدا و شافع و مولا
پندارم كه فردای قيامت تيره گون گردد محبان تو را از دود آتش غره غرا (١٩٨)
وقال شاعر آخر معتبرا الإمام (ع) السبب الرئيسي لإيجاد العالم وخلقه كما أنه شفيع المجرمين يوم الحساب:
عليست باعث بنياد عالم امكان عليست شافع جرم و گناه عالميان (٢٤٥)

٢.٤. علي (ع) جواد سخى:

كان الإمام (ع) يتصدق كثيرا وهذه الكثرة وشدة بذله لها إن كان يعكس صورة صادقة عن جود الإمام (ع) وسخائه إلا أن الدقة في سيرته العطرة تكشف لنا هذا البعد أكثر فأكثر. فقد كان أسخى من الغيث على الأمة التي عايشها. ومن مظاهر جوده أيضا بطولاته والبلاء الذي أبلاه في الغزوات والحروب للدفاع عن الدين الإسلامي. والشعراء اهتموا بهذا الجانب لشخصية الإمام (ع) ومدحوه بجوده وسخائه. والجدير بالذكر مع أن البحر هو مظهر للجود والسخاء ولكن الشاعر الفارسي مولانا كاشي في غديريته يقر بأن البحر يأخذ سخائه من الإمام (ع):

خازنان كان و دريا كيسهها بردوختند روز بازار سخايت يا أمير المؤمنين

بس كه لعل اندر دل كان خاك بر سر از دل دريا عطايت يا أمير المؤمنين (٨١)

وذكر الشاعر مشتاقى نايبني أن كل الكائنات محتاجون لعطاء الأمير (ع) وجوده:

جنت و دوزخ زمين و آسمان خورشيد و ماه جمله محتاج عطايت يا أمير المؤمنين (٢٧٠)

۲.۵. علی (ع) ملجأ الناس ومأواهم:

قال عاشق أصفهاني بعد أن ذكر جور الأيام عليه ومصائب الدهر له بأن ليس له ملجأ إلا عتبة الإمام علي (ع) ويأوى إليه:

چرخ با من دشمن وجز آستان بو تراب نیست جای دیگر از بھر پناهم دل پذیر

۲.۶. علی (ع) باب رحمة الله:

ذكر الشاعر سروش أصفهاني أن عليا هو باب رحمة الله ويد الله ويطلب منه أن يرحمه:

اي دست خداوند جهان اي در رحمت بر بنده مداح بود جاي ترحم (۲۲۲)

۲.۷. حب علي (ع) كيميائ:

اعترف سروش بأن حب الإمام علي (ع) كيميائ يبذل القلوب إلى ذهب خالص وأن هذا الحب هو الذي يهب الإنسان القدرة والسعادة في الدنيا والآخرة:

خواهي توانگري دو جهان حب او گزين حب علي به هر دو جهان طرفه كيميائست

كما أن محب علي (ع) لا يخاف يوم القيامة ويرى الشاعر أن المحب إذا خاف لم يتق الله:

ساقی دگر این چه تقوی و پرهیز است با حب علي چه بیم رستاخیز است (۱۶۹)

كما أن حبه ميزان الفلاح وكأن اسم علي (ع) هو مفتاح باب النجاة والفلاح كما قال ميرزا حسن أصفهاني:

بي مهر علی که هست میزان فلاح سودی نهد به هیچ کس علم و صلاح

تا باب نجات بر تو گردد مفتوح از نام علي به دست آور مفتاح (۲۶۰)

۲.۸. علی (ع) حطّ أصنام الكعبة:

روى ابن شهر آشوب قال: استنابه (ص) يوم الفتح في أمر عظيم، فانه وقف حتى صعد على كتفه وتعلق بسطح

الكعبة وصعد، وكان يقلع الأصنام بحيث يهتز حيطان البيت، ثم رمى بها فتكسر (البحراني، ۱۴۱۷ هـ، ۲: ۴۴۲).

قال الشاعر الفارسي الأصفهاني مشيراً إلى أن الدين قوي على يد علي (ع) كما أن الأصنام اللات والعزى و..

انكسرت على يده وتخلصت الكعبة من رجسها:

شد از دستت قوي دين خدا آيين پیغمبر شکست از بازويت مقدار لات و عزت عزا

وقال الآخر:

آنكه كه گشتي سوار كتف ني تافرو ريخت از حرم اصنام (١٨٥)

٩.٢. علي (ع) نام مكان النبي (ص):

هذه الواقعة اشتهرت بليلة المبيت إذ « وروى ابن الأثير في أسد الغابة بإسناده إلى الأستاذ أبي إسحاق ، أحمد بن إبراهيم الثعلبي المفسر، قال: رأيت في بعض الكتب، أن رسول الله (ص)، لما أراد الهجرة، خلف علي بن أبي طالب بمكة لقضاء ديون، ورد الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار، وقد أحاط المشركون بالدار، أن ينام على فراشه، وقال له: اتشح ببرد الحضرمي الأخضر، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه، إن شاء الله تعالى ففعل ذلك، فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل: إني آخيت بينكما، وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله عز وجل إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين نبيي محمد، فبات على فراشه يحرسه، يفديه، بنفسه ويؤثره بالحياة ، إهبطا إلى الأرض واحفظاه من عدوه، فنزلا، فكان جبريل عند رأس علي، وميكائيل عند رجليه، وجبريل ينادي: بخ بخ، من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله عز وجل به الملائكة، فأنزل الله عز وجل على رسوله، وهو متوجه إلى المدينة في شأن علي: وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ [البقرة ٢: ٢٠٧] » (ابن الأثير، د.ت، ٤: ١٠٣). وجعلوا الشعراء هذه الحادثة نصب أعينهم في بيان فضائل الإمام (ع).

قال طيب أصفهاني:

آن كه خفتي به خوابگاه رسول در شب هجرت رسول انام (١٨٥)

وذكر رشحه أصفهاني أن الذي نام على فراش النبي (ص) وجعل نفسه معرضة لخطر الموت لحفظ النبي (ص) والدين الإسلامي هو أولى بدن يكون إماما بعد النبي (ص):

آن كس كه به شب خفت به جاى احمد زیدكه نشاندش به جا روز غدیر (٢١٦)

١٠.٢. لا يسع لامرئ وصف علي (ع):

اعترف كثير من شعراء أصفهان في غديرياتهم بعدم قدرتهم على وصف الإمام (ع) والتعريف بمناقبه وفضائله ورأوا أن الإمام (ع) أعلى وأرفع شأنًا وقدرًا من أن يوصف أو يسع أبيات من الشعر فضائله الواسعة. من نماذج هذه الاعترافات هي:

من و اندیشه مدح تو باد از این هوس شرمم چسان پرد مگس جایی که ریزد بال و پر عنقا
إذ شبه الشاعر نفسه بذبذب أراد أن يطير في الفضاء الذي يطير العنقاء فيه.
أو قال مولانا كاشي:

خاطر همچون مني شوریده خاطر چون کند وصف قدر کبریایت یا أمير المؤمنین (۸۱)

۱۱.۲. علی (ع) عالم:

من صفات هامة لعلی (ع) هي العلم الذي اتصف به وفي تضمين الأحاديث سنشير إلى ما روي عن النبي
(ص) في بيان علم الإمام (ع). قال الإمام علي (ع) في خطبته الشهيرة: «سلوئي قبل أن تفقدوني» (نهج البلاغة،
الخطبة ۱۸۹) وأشار كثير من الشعراء إلى علم الإمام مضمنا هذا القول:

از سلوئي حديث چون گفني گرد جهل از جهانيان رفني (۱۴۵)
إذ قال الشاعر أن الإمام بقوله سلوئي كأنه ذهب بغير الجهل عن العالدين.
أو قال شاعر آخر:

بر منير سلوئي و بر تخت لو كشف بنشسته و نهاده به سر تاج إناست (۲۱۹)

وقول الشاعر «لو كشف» فيه إشارة إلى ما قال الإمام (ع) في بيان ما عنده من العلم: «لو كشف الغطاء عني ما
ازددت يقينا» (الأمدي، ۱۳۶۶، ۱۱۹).

۱۲.۲. علی (ع) مولود الكعبة:

ثمة فضيله خص الله تعالى الإمام علي (ع) بها وهي ولادته بالكعبة. قال شاعر أصفهاني ذاكرا هذه المنقبة في
مدح الإمام (ع):

كعبه ولادتكده حيدر است كرد خليل از قبل اين بناش (۲۲۰)

۱۳.۲. علی (ع) كفو الزهراء (س):

من مناقب الإمام علي (ع) أنه هو صهر الرسول الكريم (ص) وزوج فاطمة الزهراء (س) وقد ذكر الشعراء هذا
الموضوع في غديرياتهم. أنشد روشن اردستاني:

شوهر زهرا أبو السبطين بن عم رسول رهبر جبريل دست حق علي مرتضى (۲۴۲)

وقد ورد عن جعفر بن نعيم الشاذلي عن أحمد بن إدريس عن ابن هاشم عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) قال: قال لي رسول الله (ص) يا علي لقد عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة وقالوا: خطبناها إليك فمنعتنا وزوجت عليا فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوجته، بل الله منعكم وزوجه، فهبط علي جبرئيل فقال: يا محمد إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليا لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض آدم فمن دونه (الشيخ الصدوق، ١٣٧٨هـ، ١: ٢٢٥).

وقد أنشد الشاعر الفارسي قائلا:

روز زفاف فاطمه فرمود مصطفی با زمره مهاجر و انصار سر بسر
کز ما سوی نبود کسی همسر بتول گر مرتضی نبود در این عرصه مستقر (٢٤٣)

٣. الدراسة الفنية للغديريات الأصفهانية:

في هذا القسم من المقالة سنشير إلى ومضات أسلوبية للغديريات الأصفهانية. منها:

٣.١. اقتباس القرآن الكريم:

اقتباس الآيات القرآنية لإغناء النصوص الشعرية من دأب الشعراء منذ عصر النزول ولم ينحصر الأمر على الشعراء العرب بل اهتموا به الشعراء الفرس طوال القرون مذ أن دخلوا في الإسلام وانصهروا فيه. فيما يلي بعض اقتباسات قرآنية لشعراء أصفهان في غديرياتهم:

آية «بلغ» وآية «أكملت»: نقصد بهذه الآية الكريمة هذه: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [المائدة ٥: ٦٧] إذ على أساس هذه الآية وقف النبي (ص) وأوقف قوافل الحجيج وعرف الإمام (ع) وليا بعده بأمر الله تعالى. والآية الثانية هي: الْيَوْمَ يَرْضَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا [المائدة ٥: ٣] والشعراء الأصفهانيون عندما يشيرون إلى واقعة الغدير فيذكرون هتين الآيتين من نماذج هذه الإشارات هي:

آمد امروز جبریل امین جانب مصطفی به خم غدیر

کای تو بر جمله ما سوا سرور امر ما را کنون مکن تأخیر

دست حیدر بگیر و از سر قدر بنشان جای خویشتن به سریر (٢٩٤)

في الأبيات إشارة إلى الآية الأولى. وقال شاعر آخر:

امروز عید ملت اسلامیان بود روز کمال دین خداوند داور است (٢٨٠)

في البيت إشارة إلى الآية الثانية إذ هو يوم إكمال الدين الإسلامي.

نعمت امروز به مخلوق جهان گشت تمام شد وصي نبي امروز ولي يزدان (٢٩٥)

في البيت أيضا إشارة إلى الآية الثانية إذ هو يوم إتمام النعمة على الخلق.

كما أن يوم الغدير يوم رحمة الله على عباده وإتمام النعم عليهم وإكمال الدين ولذلك رُفِعَ علم الإسلام حتى كأنه وصل إلى نحو عيوق وهو نجم بعيد جدا وكناية عن البعد:

امروز کردگار بود روز رحمتش بر بندگان تمام کرد نعمتش

امروز دین و داد کمالی تمام یافت اسلام سود بر سر عیوق ریشت (۲۱۷)

آیه «إنما»: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ [المائدة ۵: ۵۵]
وقد روي: «أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ عِنْدَمَا تَصَدَّقَ عَلَيَّ (ع) عَلَى السَّائِلِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) وَهُوَ فِي حَالِ الرُّكُوعِ» (الحسكاني، ۱۴۱۱هـ، ۱: ۲۱۲). والشعراء اقتبسوا هذه الآية مشيراً إلى منقبة من مناقب الإمام علي (ع). قال الشاعر:

از إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ نوشته اند برهان لا تناهي وجودش بر آفتاب (۱۴۳)

وقال شاعر آخر:

يكي از فضل او غدیر خم است دیگری إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اسْت (۱۴۵)

كما قال گلزار أصفهاني:

خسرو عادل عدیل ختم رسولان آن که نگین داد در رکوع به سائل (۴۱۳)

آیه «هل أتى»: وهذا إشارة إلى الايات الكريمة في أواخر سورة الإنسان إذ نزلت بشأن الإمام علي (ع) وزوجته الصديقة الزهراء (س) (السيوطي، ۱۹۹۳م، ۶: ۲۹۹) إذ مرض الحسن والحسين ونذر الإمام والسيدة فاطمة أن يصوما ولكن في كل ليلة وقت الإفطار قد دخل عليهم مسكين ویتيم وأسیر وأطعموه ومكتوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا إلا الماء فأتاهم رسول الله (ص) فرأى ما بهم من الجوع، فأنزل الله تعالى: هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ، إِلَى قَوْلِهِ: وَيَطْعُمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا [الإنسان ۷۶: ۱-۹] (أنظر ابن الأثير، د.ت، ۵: ۵۳۰)

قال شاعر أصفهاني آخذاً هذه الآية برهاناً على فضل الإمام (ع) وذكرنا لمنقبه:

بر کمالات او بود برهان حجت هل أتى على الإنسان (۱۴۵)

آیه «أنفسنا وأنفسكم»: والآية هي: فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ [آل عمران ۳: ۶۱] وقصة المباهلة مشهورة في كتب التاريخ والتفسير وقيل إن أنفسنا يقصد بها النبي (ص) نفسه الإمام علي (ع) إذ جعله مثل

نفسه (ع). وهذه منقبة وفضيلة أخرى للإمام علي (ع) ذكرها الشعراء في أشعارهم. قال شمس أصفهاني أن الذين فضلوا الخلفاء على الإمام (ع) في الواقع هم جاهلون غافلون عن أنهم فضلوا شخصا على النبي (ص) لأن عليا هو نفس النبي (ص):

عاقلان دانند اين معنى كه نا زيبا بود خارجي را برتر از نفس پيمبر داشتن (٢٣٨)

آية «جاء الحق وزهق الباطل»: الآية هي: وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا [الإسراء ١٧]:

[٨١] قال الشاعر:

نوشت بر در و دیوار کلك قدرت حق که نوبت «زَهَقَ الْبَاطِلُ» است و «جَاءَ الْحَقُّ»
آية «كرمنا» و «علم الأسماء»: قصد الشاعر الآيتين الكريمتين: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ [الإسراء ١٧: ٧٠] و وَعَلَّمَ
آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا [البقرة ٢: ٣١] إذ قال في بيته:

هم تو مخصوص لطف «كَرَّمْنَا» هم تو منصوص «عَلَّمَ الْأَسْمَاءَ» (١٤٥)

٣. ٢. تضمين الحديث الشريف:

إليك بعض نماذج من تضمين الشعراء الحديث الشريف لبيان مناقب الإمام علي (ع):

. حديث «المنزلة»:

قال النبي (ص): «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٣٩:

٦٢).

وقال الشاعر:

سپرد مصطفی در دین را به مرتضی مولاى مؤمنان شد و هارون امتش (٢١٧)

وقال شاعر آخر:

هارونش خواند و داد مر او را خليفتي آن کو به جمله خلق دليل است و رهبر است

. حديث «علي قسيم النار والجنة»:

قال النبي (ص): «..تأمر بشيعتك إلى الجنة و بأعدائك إلى النار ، فأنت قسيم الجنة وأنت قسيم النار»

(المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٣٩: ١٩٣).

وقال الشاعر هاتف:

ولي حضرت عزت قسيم دوزخ و جنت قوام مذهب و ملت نظام الدين والدنيا
وقال في موضع آخر منكرا أن يفكر محبوا الإمام (ع) بالنار إذا كان الإمام قسيم النار والجنة:
قسيم دوزخ و جنت تويي در عرصه محشر غلامان تو را اندیشه دوزخ بود؟ حاشا
. حديث «لحمك لحمي»:

قال النبي (ص): «لحمك من لحمي، ودمك من دمي، وروحك من روحي، وسريرتك سريرتي، وعلايتك علانيتي»
(المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٢٣: ١٢٦).

وقال الشاعر:

هر کس حديث لحمك لحمي شنیده است داند علی به رتبه یکی با پیمبر است (٢٣٠)
. حديث «علي مع الحق والحق معه»:

قال النبي (ص): «علي مع الحق والحق معه» (مجلسي، ١٤٠٣هـ، ٣٨: ٣٤). كما روي أيضا: «الشيخ في أماليه
قال: أخبرنا جماعة عن أبي المفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن رباح الأشجعي قال: حدثنا عباد بن
يعقوب الأسدي قال: أخبرنا علي بن هشام بن البريد عن أبيه عن إسماعيل بن رجاء الزبيدي عن موسى بن عبد الله
بن يزيد يعني الخطمي عن صلة بن زفر أنه أدخل رأسه تحت الثوب بعدما سجد على حذيفة قال فقال له: إن هذه
الفتنة قد وقعت فما تأمرني؟ قال: إذا أنت فرغت من دفني فشد على راحلتك والحق بعلي (عليه السلام) فإنه على
الحق والحق لا يفارقه» (الطوسي، ١٤١٤هـ، ٢٨٨).

وقال الشاعر:

حق با تو بوده است و تو با حق رسول گفت این راز یر به مهر که اینک بود سمر (٢٤٣)
. حديث «مدينة العلم»:

قال النبي (ص): «أنا مدينة العلم وعلي بابها» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٤٠: ٢٠١).

وقال الشاعر:

جز بر پی علی نیری ره به شهر علم کاو سوی شهر علم تو را شهره پیشواست

إن الإمام قائد يقود نحو مدينة العلم ويهدي الناس إليه وإنه هو باجما الذي لا بد منه للدخول في هذه المدينة.
وقال شاعر آخر:

او شهر علم بود و تويي باب شهر علم نیز این حدیث گشته از آن شاه مشتهر
. حدیث «لولا»: اشتهر بلولا وأصل الحديث هو: «ولاك (ما) لما خلقت الافلاك ولولا علي لما خلقتك ولولا
فاطمه لما خلقتكما» (المجلسي، ١٤٠٣هـ، ٥٧: ١٩٩). وكثيرا ما ذكرها شعراء أصفهان في غديرياتهم منها:
رخ از خواب عدم ناشسته بود آدم كه فرق تو مكلل شد به تاج لا فتى و افسر لولا (١٩٦)
في البيت إشارة إلى أفضلية الإمام علي (ع) على آدم (ع) ويقول قبل دن يستيقظ آدم من نوم العدم فكنت
مكلل بهذه المناقب. وقال عنقاي أصفهاني:

عليست مصدر ايجاد و خلقت افلاك عليست شوهر زهرا و معني لولاك (٢٤٥)
ومما تجدر الإشارة إليه أن الشاعر سائل كاشاني من شعراء القرن العاشر له رسالة قيمة جمعت بين دفتيها أربعين
حديثاً عن النبي (ص) في فضل الإمام علي (ع) وترجمها إلى الفارسية.

٣.٣. الخواتم الجميلة للغديريات:

ختم هؤلاء الشعراء غديرياتهم بأبيات جميلة ملائمة للموضوع. إليك بعض نماذجها:
قال مولانا كاشي في آخر غديريته معترفاً بأنه لا يمكن لأحد مدح علي (ع) كما يستحقه:
فهم انساني چه داند عزت كار ترا آفرينش بر نتابد بار مقدار ترا (٨٢)
أو قال هاتف مقارنا بين فئة المحبين لعبي وأعدائه:
مجان تو را روشن ز رویت دیده حق بین حسودان تو را بی بهره زان رخ دیده اعمی
أو يطلب الشاعر مكرم أن يحل الإمام عقده إذ لا ملجأ له غير الإمام (ع):
مكرم به جز از كوی تو اش نیست پناهی خواهد کنیش عقده لا ينحل دل حل (٢٤٥)
أو يذكر الشعراء كمشفق كاشاني محسنة في البيت الأخير لشعرهم:
تابش خورشید ز بام علیست سکه توحید به نام علیست (٤٩٦)

كما كان للعادة أن يُضرب اسم الأشخاص على المسكوكات فمسكوكة التوحيد مضروبة باسم علي (ع) يقصد الشاعر أن الذي لم يؤمن بعلي فلم يؤمن بالله تعالى.

٣.٤. المحسنات البيانية والبديعية:

كل شاعر عالم بأهمية المحسنات البيانية والبديعية في زيادة جمال الشعر وروعته ولم يستثن شعراء أصفهان في غديريائهم من هذا الأدمر فاستخدموا هذه المحسنات لإثبات المعاني التي هم بصدد بيانها وتوضيحها في أذهان المخاطبين ومن هذا المنطلق استخدموا التشبيهات الجميلة في أشعارهم. إذ التشبيه «حياته وجماله وبخاصة التمثيلي منه لا تتأني إلا من جودة الصياغة اللغوية بحسن اللفظ أو معناه وتناسقه الدلالي ففيهما تبرز صنعة الفنان وحذقه وعبقريته» (وهبة، ١٩٩٦م، ٢٩). إليك نماذج من هذه التشبيهات:

وصف رشحه أصفهاني الإمام (ع) وشبهه بالبحر العظيم:

بحر است علي و ديگران كم ز غدیر شد قدر علي بلند از حي قدیر (٢١٦)

شبه شاعر آخر ما أقدم عليه الإمام (ع) من شجاعة في الحروب بشمس تظهر في العالم ولا يمكن خفاؤها:

در بدر و خندق آنچه علی کرد بھر دین چون آفتاب در همه عالم مشہر است (٢٥٤)

أو شبه الشاعر نفسه وجه الإمام (ع) بمصباح فيهدي به الناس في الظلمة وسيفه كمفتاح لباب خير:

حیدر کہ روی اوست کہ مصباح ظلمت حیدر کہ تیغ اوست کہ مفتاح خیر است

وكذلك شبه شاعر الولاية ببحر عميق يطلب من مخاطبه أن يحاول السباحة في هذا البحر ليحصل على العشق المشبه بالدر:

خواهی آگر آوری به کف گوهر عشق در بحر ولایت علی شو سباح (٢٦٠)

وارتبط الشاعر بين الوجود والدين والإمام (ع) وشبهها على الترتيب بالبحر والسفينة والربان والمهم أن يقود الربان السفينة في هذا اليم وعلى الناس كذلك اتباع الإمام (ع) للوصول إلى ساحل النجاة:

هستی یم و دین کشتی و حیدر ملاح زین ورطه بود و رای ملاح فلاح (٢٦٠)

كما شبه الشاعر مشتاقني نايني محبة الإمام (ع) بأم ترضع ابنه وكما أن الابن مدين للأُم طوال حياته فكل من في قلبه حب الإمام مدين له:

هر که شد از دایه مهر همایونش رضیع بایدش صد منت از آئین مادر داشتن (۲۶۵)

كما شبه جلال الدين همایي الإمام (ع) بسحاب الرحمة قائلاً:

تشنه کامانیم ای ابر کرامت خوش بیار تا گلوی خشک ما از آب رحمت ترکی

واستخدم الشعراء المحسنات البديعية في شعرهم ولم يكن هذا الاستخدام تلاعباً لفظياً كما يحلو للبعض أن يسميها

بهذا العنوان بل كان زينةً وحولية للنص الشعري.

استخدم الشعراء محسنة **التضاد** في أشعارهم لأن التضاد في بعض الأحيان يدل على معنى العموم وقال هاتف

أصفهاني مستخدماً التضاد بين كلمتي الشرق والغرب مشيراً إلى أن الإمام (ع) هو إمام كل الناس في العالم:

هزبر سالب غالب علي بن ابي طالب امام مشرق و مغرب امير يثرب و بطحا

وكذلك يساعد التضاد القارئ للمقارنة بين الحالتين المتضادتين مثلاً قال الشاعر مقارناً بين محبي علي (ع) وأعدائه

مشيراً إلى أن أعين الفئة الأولى قريرة لما يرون في وجه علي (ع) في حين أنه أصاب العمي الفئة الثانية:

محيان تو را روشن ز رویت دیده حق بین حسودان تو را بی بهره زان رخ دیده اعمی

وحتى العالم الشيب يصبح شاباً إثر الفرح الذي أصابه لعید الغدير:

حبذا عيد غدیر آمد با بخت جوان شد از این مژده جانبخش جوان پیر جهان

ومن المحسنات الأخرى الجميلة هي **حسن التعليل** ومن نماذجه:

الشاعر عنقاي أصفهاني يعلل انحناء السماء ويقول إنه لتعظيمه للإمام (ع):

شیر خدا امیر عرب کز ره شرف پشت سپهر از پی تعظیم او خم است

كما أن شاعر آخر يعلل ظاهرة الشفق في الطبيعة بأن حمرة الشفق من دماء الكفار التي جرت على يد الإمام

(ع) في الحروب:

زرزماگهت اگر موج خون نخورده به چرخ نشسته تا بر زانو چرا فلك به شفق (۳۴۵)

ووما لا يفوتنا أن ننبه عليه هو أن التأمل في غدريات شعراء أصفهان يدلنا على استخدامهم ألفاظ الطبيعة في

شعرهم وكأنهم يشاركون الطبيعة في فرحهم ليوم الغدير المبارك ويصفون الطبيعة بجمالها ورياضها الغناء وسمائها الأزرق

الجميل. قال الشاعر روشن اردستاني:

رساند باد صبا مژده بهار امروز ز توبه توبه نمودم هزار بار امروز
هوا بساط زمرد فکند در صحرا بياکه وقت نشاط است و روزگار امروز
سحاب بر سر اطفال بوستان بارد به جای قطره همي در شاهوار امروز
به کام اهل سعادت دمید گل از شاخ به چشم اهل شقاوت خلید خار امروز

یصف الشاعر هنا الطبیعه فی يوم الغدير المبارك إذ بشرت ریح الصبا بقدم الربیع والجو بسط فراش الزمرد فی
الصحراء والوقت وقت الطرب والنشاط والسحاب یهطب بغزارة علی الرياض الجميلة وفي هذا المطول بركة وكأنه
یهبط علی الأرض درر متألثة كما أن زهرة السعادة طلعت علی الأغصان ویجوها أهل السعادة والنجاة (محبوا الإمام
علي (ع)) وكأن الأشواک نبتت فی عیون أهل الشقاء (أعداء أمير المؤمنین (ع)).

وکل ذلك باستخدام تشبيهات جميلة ولغة سهلة ساذجة لا غرابة فیها ولا تعقید.

والجدیر بالذكر مع أن الاقتباس والتضمین من أنواع المحسنات البديعية إلا أننا ذكرناهما علی حدة لأهميتهما فی مثل

هذه القصائد (الغديريات) إذ يذكرهما الشاعر ويستند إليهما لإثبات ما يريد بیانه وتفهمه للمخاطب.

النتيجة:

مما حصلنا عليه إثر القراءة المتأنية لغديريات شعراء أصفهان لاستخراج الصورة الشعرية للإمام في هذه الأشعار هو أنه:

. وصف الشعراء الأصفهانيون الإمام علي (ع) بمناقبه وفضائله ليثبتوا أفضلية الإمام علي غيره وأن من غصبوا حق الإمام (ع) هم ظالمون مستكبرون.

. من أهم فضائل الإمام (ع) المشار إليها في الغديريات هي: العدالة، الشجاعة، الجود والسخاء، العلم، وإنه باب رحمة الله، وحب علي كيمياء، وفضائله أكثر من أن تعد وتُحصى، ونوم علي ليلة المبيت مكان النبي (ص).
. لغة هذه الغديريات سهلة فيها كثير من ألفاظ الطبيعة كأن الشعراء شاركوا الطبيعة في فرحهم ليوم الغدير.
. من مضات أسلوبية لهذه الغديريات هي: اقتباس الآيات الكريمة القرآنية، تضمين الأحاديث النبوية الشريفة، الخواتيم الجميلة، استخدام المحسنات البيانية كالتشبيه والبدعية كالتضاد لإغناء شعرهم ولأنه يزداد جمالا وروعة.

المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

. نهج البلاغة

- . ابن الأثير، عز الدين. (د.ت). *أسد الغابة في معرفة الصحابة*. تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد عوض معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. بيروت: دار الكتب العلمية.
- . الأمدي، عبد الواحد. (١٣٦٦). *غرر الحكم ودرر الكلم*. قم: انتشارات مكتب الإعلام الإسلامي.
- . البحراني، سيد هاشم. (١٤١٧هـ). *البرهان في تفسير القرآن*. قم: انتشارات دار التفسير.
- . البلاذري، أحمد بن يحيى. (١٩٧٤م). *أنساب الأشراف*. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- . الحسكاني، . (١٤١١هـ). *شواهد التنزيل*. طهران: مؤسسة الطبع والنشر. ارشاد الاسلامي.
- . السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (١٩٩٣م). *الدر المنثور*. بيروت: دار الفكر.
- . الشيخ الصدوق، محمد بن علي. (١٣٧٨هـ). *عيون أخبار الرضا (ع)*. قم: منشورات الشريف الرضي.
- . الطوسي، محمد بن الحسن. (١٤١٤هـ). *أمال الطوسي*. تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة. قم: دار الثقافة.
- . وهبة، مراد. (١٩٩٦م). *قصة علم الجمال*. القاهرة: دار الثقافة الجديدة.